

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 11 (2011) : 163 - 177
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

إسهامات الجزائريين في الحقل الثقافي السوري بين 1245/1332هـ – 1830/1914م

الطاهر سبقاق
قسم التاريخ جامعة ورقلة

مقدمة

إن الخوض في موضوع التفاعلات الثقافية أمر في غاية التعقيد والاتساع نظرا لارتباط الحياة الإنسانية وتداخلها، ومع ذلك جازفت في معالجة العلاقات الثقافية بين الجزائر وسوريا، إن جلّ الدراسات التي اطلعت عليها تخوض في المسائل السياسية وحين تتحدث عن الشخصيات الفاعلة في الحقل السياسي السوري فهي لا تشير إلى الأصول الجزائرية كما إن الدراسات الأكاديمية المشرقية تؤكد دائما على تأثير المركز في الأطراف، أي تأثير المشرق في المغرب، ولا تولي أهمية للتأثير العكسي. اضطرتني المادة التاريخية المتوفرة، أو التي تمكنت من الوصول إليها، إلى التركيز على دور الجزائريين في الحياة الثقافية بسوريا لأنني لم أتمكن من الوصول إلى الدور السوري في الجزائر حتى تتجلى العلاقة التفاعلية بين البلدين.

إن الذي يشد الانتباه ويدعو إلى التساؤل هو لماذا توجه المهاجرون الجزائريون إلى بلاد الشام وسوريا بالخصوص؟ وكيف تعامل العثمانيون وبعدهم الفرنسيون مع هؤلاء المهاجرين؟ وكيف تمكن هؤلاء الوافدين من ترك بصماتهم في الحياة الثقافية؟ وما هي المجالات الثقافية التي برزوا فيها؟

أتناول في البداية – وفي عجالة – جذور العلاقة والتواصل بين الجزائر

وبلاد الشام ابتداء من العهد الفاطمي واستعرض جملة من رجالات الجزائر وعلمائها الذين برزوا في المشهد الثقافي السوري من القرن 10م إلى القرن 17م ثم ألقي نظرة سريعة بعد ذلك على الوضع السياسي في كلا البلدين في القرن 19 و20 الميلاديين

قصد الوقوف على المناخ العام لهذا التفاعل الثقافي ثم أطرق موضوع هجرة الجزائريين إلى بلاد الشام، من هم المهاجرون؟ ومن أي منطقة جاؤوا من الجزائر؟ وأين استقروا في سوريا؟ وبعد ذلك تناولت المجالات الثقافية التي نشط فيها هؤلاء المهاجرين.

في الحقيقة قليلة هي المصادر والمراجع التي تناولت موضوع العلاقات الثقافية بين الجزائر وسوريا فقد عثرت من الشاميين على كتاب المشرق في نظر المغاربة لصلاح المنجد ومقال حول الوجود المغربي في المشرق المتوسطي للدكتورة ليلى الصباغ وكلاهما يتناول في عمومه كل المغاربة في المشرق عامة، وكذلك كتاب " الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة" للدكتور على المحافظة والذي يتناول موضوع النهضة العربية بشكل عام، وكذلك "تاريخ الجزائر الثقافي (ج5) للدكتور أبو القاسم سعد الله ويعرض فيه بشكل موجز الشخصيات الجزائرية في الحقل الثقافي بسوريا كما عثرت على أطروحة ماجستير للباحثة نادية طرشون بعنوان " الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام بين **1847–1911**" وهو يتناول موضوع الهجرة كظاهرة اجتماعية تاريخية، والمرجع الذي اعتمدت عليه كثيرا وهو كتاب الباحث والصحفي سهيل الخالدي في كتابه "الإشعاع المغربي في المشرق" والذي يضم في ثناياه حقائق وشهادات هامة حول دور الجزائريين في بلاد الشام. مثلما أسلفت فقد حظي المجال السياسي باهتمام أكثر من الدراسات وهو ما دفعني إلى التركيز على الجانب الثقافي وأنا لا أدّعي بأنني اكتشفت كنوزا أو فككت ألغازا تتعلق بالموضوع وإنما حاولت تجميع معلومات دقيقة ومركّزة حول الموضوع من خلال قراءاتي لمن سبقوني في المعالجة.

1- جذور التواصل بين الجزائر وبلاد الشام (سوريا).

لا يمكن الحديث عن العلاقة بين الجزائر وبلاد الشام إلا في السياق العام للعلاقة بين المغرب والمشرق، وحتى في هذا السياق تواجه الباحث صعوبة كبيرة تتمثل في أن المؤرخين القدامى المهتمين بتاريخ الشام أمثال ابن خلّكان وابن عساكر والذهبي والأنطاكي والمقريزي يطلقون تسمية المغاربة على كل القادمين من الغرب ابتداء من مصر حتى مراكش بل والى الأندلس أحيانا، وهنا تكون مهمة الباحث في غاية الصعوبة لضبط الأصول جزائرية كانت أو غيرها.

ومما لاشك فيه أن المشرق العربي عامة كان منذ الفتح الإسلامي " قبلة أنظار أهله

(المغرب) ومهوى أفئدتهم : ففيه حجهم وفيه الكعبة المكرمة، قبر النبي، والمزارات الكبرى، وكل المواقع التي عاشتها الرسالة الإسلامية في مطالع انتشارها[1]ولم تكن مقاصد المغاربة لبلاد الحجاز ومصر فقط بل أن بلاد الشام كانت هي الأخرى غاية من غاياتهم على الرغم من بعدها عن الطريق التقليدية للحج " بل أن بعضهم قد آثرها على وطنه وأقام بها وتزوج منها وتعلّم وعلّم بها وقد يمكث بعضهم زمنا بها ثم يعود إلى بلاده[2]

وبالإضافة إلى العوامل الدينية فإن العوامل الجغرافية الطبيعية تشجع على انتقال المغاربة إلى بلاد الشام فالتشابه بين طبيعة المنطقتين لا يشعر الوافد إليها بالغربة أو صعوبة التأقلم [3] وقد أشار المقري في كتابه نفح الطيب إلى أن التشابه كبير بين دمشق وتلمسان وفاس[4]. كما كان للدوافع العلمية آثرها في انتقال المغاربة لبلاد الشام ولاسيما حاضرة دمشق التي كانت منارة من منارات إشعاع العلم والثقافة. ثم تأتي في الأخير الدوافع الاقتصادية وخاصة التجارية.

إذا تتبعنا آثار ودور الجزائريين في بلاد الشام فإننا نجد بصماتهم تعود إلى العهد الفاطمي في مصر وبلاد الشام بين أواخر القرن 4 و6 الهجريين (10 و12 الميلاديين)، حيث كانت قبيلة كتامة المغربية هي التي تتولى تسيير البلاد إداريا وقضائيا وعسكريا (ولاة وقضاة وضباط)[5]ولكن سياق بحثنا لا يسمح بالخوض في المجال السياسي. من أهم أعلام المغاربة بالشام ابتداء من العهد الفاطمي:

– في القرن 10 م:– جعفر بن فلاح الكتامي (360هـ –971 م) قائد عسكري امتلك دمشق بأمر من المعز الفاطمي.

– في القرن 12: – أبو محمد الاشيري الصنهاجي(661 هـ –1165 م) محّدث ونحوي بدمشق.

– أبو الحسن القسنطيني (519 هـ – 1125 م) عالم في كيمياء الفضة بدمشق.

– محمد بن محرز بن محمد الوهراني (575 هـ– 1179 م)خطيب دمشق.

– في القرن 13 م: – أبو الفرج البوني (612 هـ – 1215 م) إمام محراب الحنفية بدمشق.

– ضياءالدين الزواوي (644هـ–1245م)مدّرس بالزاوية المالكية بدمشق.

– زين الدين الزواوي (564–628هـ –1169–1231م) مدرّس بدمشق.

– الشاب الظريف ابن العفيف (668هـ – 1289م) محافظ الخزانة بدمشق حتى وفاته.

– أبو محمد الزواوي (589–681هـ–1193–1282م) مقرئ وقاضي دمشق.

– العفيف التلمساني (610هـ–1213م) محافظ خزانة دمشق.

– ابوبكر الوهراني (615 هـ – 1219م) خطيب بجامع داريا بدمشق. [6]

في القرن 14م: – ابن أبي حجلة (776 هـ – 1375 م) درس في دمشق وترك هناك أزيد من 80 كتابا.

– أبو الروح المنكلاتي الزواوي (664–743هـ – 1261– 1342م) نائب قاضي دمشق.

– سعيد الملياني (771هـ – 1369م) مقرئ بدمشق.

– محمد بن يحي التلمساني (794هـ – 1392م) قاضي حماه وطرابلس وبدمشق.

في القرن 15م: – أبو جعفر محمد البسكري المغربي الفقيه المالكي (804 هـ – 1402م) والذي درس المذهب المالكي في الجامع الاموي.

– احمد السنوسي (القرن 9 هـ – 15م) قاضي دمشق.

– سالم الصنهاجي (777– 873هـ – 1375– 1468م) قاضي المالكية بدمشق والقدس.

- أبو العباس المغراوي (820هـ – 1417م) مدرّس بالمدرسة الزنجلية بدمشق.

في القرن 17م: – ابن قنفذ القسنطيني (1015هـ – 1606م) باحث ومؤرخ بدمشق.

– يحيى الشاوي (1030– 1096هـ/ 1621– 1684م) انتقل إلى المشرق العربي سنة 1074 هـ – 1663 م إلى مصر ثم دمشق حيث كان له مجلس علمي مهيب بالجامع الأموي مدحه الشعراء وحضره العلماء وطلب بعضهم منه

– الإجازة كالمحبي صاحب (خلاصة الأثر)، وقد كان متضلعا بالحديث والفلسفلة والمنطق. [7]

- احمد شهاب الدين المقري (986–1041 هـ – 1578– 1631) ولعله من ابرز الجزائريين الذين تركوا بصماتهم في دمشق فقد وصف المحبي الجلسة التي ختم فيها المقري "صحيح البخاري" بالجامع الأموي وصفا ممتعا يبيّن لهفة أهل دمشق وطلبة العلم فيها لسماعه وتأثرهم بدرسه وحديثه حتى ازدحم الناس لتقبيل يده"[8] ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين على دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس" [9]، وقد استجاب المقري لرغبة علماء دمشق وأدباؤها وألف كتابه الشهير حول شاعر غرناطة ووزيرها لسان الدين ابن الخطيب المسمى" نفح الطيب..." والذي يعدّ موسوعة أدبية في 8 مجلدات [10]

وتجدر الإشارة إلى أنني عثرت على كثير من أعلام الجزائر ورجالها في المشرق العربي والشرق الإسلامي عموما مثل لبنان وفلسطين مصر والحجاز والعراق واليمن والهند وإيران وباكستان وتركيا بل حتى الجزائريين إلا أنني لم اذكرهم لأن موضوعي يتعلّق بسوريا فقط كما أنني لم أشر إلى الذين برزوا منهم في المجال السياسي والعسكري إلا إذا كانت لهم بصمات او اسهامات في الحياة الثقافية بسوريا.

2 – الوضع السياسي في البلدين:

أ– في الجزائر:

كانت الجزائر في بداية القرن 19 تابعة اسميا وروحيا للدولة العثمانية، التي كانت تنعت بالرجل المريض، ذلك "الرجل " الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، وكانت الأيالة الجزائرية في عهد الدايات والذي امتدّ من 1671م إلى 1830م وهو العهد الذي عرف بعهد الاستقلالية عن الباب العالي وشهد صراعات سياسية عنيفة بين الحكام، ففي العقود الثلاث الأولى من القرن 19 تعاقب على حكم أيالة الجزائر ثمانية دايات: السبعة الأوائل منهم وصلو لسدّة الحكم بعد اغتيال الداي الحاكم باستثناء الداي الأخير أي الداي حسين باشا الذي خلف والده المتوفى بسبب المرض[11].

وقد كان اهتمام هؤلاء الدايات منصبّا على مواجهة التحرّشات الأجنبية والجهاد البحري وجباية الضرائب لذلك لم تحظ الثقافة في عهدهم بالاهتمام اللائق بها وهذا ليس في الايالة الجزائرية فقط فهو قابل للتعميم في معظم الولايات العثمانية كما يؤكد ذلك محمد كرد علي في كتابه "الإسلام والحضارة العربية": "فقد دخل الأتراك دمشق وفيها أكثر من مائة وخمسين مدرسة للقرآن والحديث والفقه على المذاهب الأربعة، ومدارس

الطب والهندسة عدا الربط والخوانق والمستشفيات، وخرجوا منها بعد زهاء أربعة قرون وليس فيها بضعة مدارس عامرة..." [12].

يمكن القول أن المشهد الثقافي في الجزائر كان يعتمد في تجلياته على ما جادت به قرائح الجزائريين من وحي الألم والأمل، الألم مما كابدته الثقافة من الإهمال والمثقفين من التهميش والإقصاء، ذلك الألم الذي كان دافعا قويا للتفكير والتحليل والتأليف في مختلف ضروب الثقافة والفنون، والأمل في ما هو أفضل من ظروف تخدم الثقافة والمثقفين.

وعلى الرغم من أن آخر الدايات، الداي حسين، حكم أطول فترة– دامت (12 سنة) 1818– 1830– شيد خلالها الكثير من الحصون والمساجد والقصور وادخل العديد من الإصلاحات الإدارية والعسكرية لكنه لم يحقق انجازا ثقافيا جدير بالذكر بل في نهاية عهده استسلم وسلم مفاتيح الدولة الجزائرية لقائد الحملة الفرنسية الاستعمارية الجنرال دي بورمون في صائفة 1830. [13]

ولما احتلّ الفرنسيون الجزائر انشغل النظام الاستعماري في البداية ببسط نفوذه وتمكين نفسه في باقي المناطق وقمع الانتفاضات الشعبية وقد ساعد هذا الانشغال على استمرار الفعاليات الثقافية في نشاطاتها ولو بشكل محتشم من خلال النوادي والجمعيات والصحف والمساجد الزوايا والكتاتيب وقد غلب على هذه النشاطات الطابع الديني والاجتماعي.

وبعد 1870 مع بداية النظام المدني في الجزائر بقيادة المعمّرين عمد النظام الاستعماري إلى سن تشريعات قانونية وإقامة هياكل لمراقبة و"تنظيم" الحياة الثقافية يما يخدم مصالح الإدارة الاستعمارية وأهدافها تمهيدا لطمس معالم الشخصية الجزائرية في إطار سياسة الإدماج بمفهومها الواسع، وتمتد هذه السياسة الثقافية الاستعمارية بل وتزداد شراسة في بداية القرن 20 مع هبوب رياح النهضة العربية في المشرق العربي وتلوح في الأفق إرهاصات الحرب العالمية الأولى بعد التوتر في العلاقات الدولية بين دول الحلف الثلاثي والوفاق الثلاثي.

ب- في سوريا:

تشاء الظروف وتتقاطع التواريخ بين الجزائر وسوريا فكلاهما وقع تحت النفوذ العثماني في بداية القرن 16 (سوريا 1516/الجزائر 1518) وحين وقعت سوريا تحت سيطرة محمد علي 1831 كانت الجزائر قد وقعت تحت السيطرة الفرنسية، وكان يقود سوريا إبراهيم باشا ابن محمد علي (1831-1840) وكان يقود المقاومة الشعبية بالجزائر الأمير عبد القادر (1832-1847).

ويختلف البلدين في طبيعة دخول العثمانيين إليهما، فبينما استنجد سكان الجزائر بالعثمانيين لمواجهة الخطر الاسباني والبرتغالي، في حين تمّ إخضاع سوريا بالقوة للسلطة العثمانية، ليس فقط سوريا بل منطقة الهلال الخصيب ومصر كلهما بعد معركتي مرج دابق[14] والريدانية[15] وبقيت تحت حكمها لمدة زادت عن أربعة قرون ولم تختلف سياسة الدولة العثمانية في سوريا عن سياستها في الجزائر فبحكم القرب الجغرافي من عاصمة الخلافة كانت قبضة الدولة أقوى وأثرها أعمق لاسيما في سياسة التتريك وفرض الضرائب على السكان وقمع الحركات المعادية للأتراك.

وقد ساهم اختلاف شخصية الولاة في اختلاف معاملاتهم وعلاقاتهم مع الشوام ففي حين عرف عهد جمال باشا (السفاح) واحمد باشا (الجزّار) بسفك الدماء عرفت عهود مدحت باشا وحمدي باشا وناظم باشا ظروف أحسن وعلاقات أكثر ودّا وانسجاما مع السكان وكان ذلك استثناءا يؤكد قاعدة الصدام والتصادم مع السلطة العثمانية إلا أن ذلك في حد ذاته كان من عوامل اليقظة والنهضة الفكرية والثقافية إلى جانب الانفتاح الذي عرفته سوريا في عهد محمد علي (1831-1840) على الحضارة الغربية.

وقد انتعشت الحياة الثقافية في سوريا بفضل حركة النهضة العربية وحركة الجامعة الإسلامية ومنظّريها، وكذلك نشاط المسيحيين العرب الذين كانوا أكثر عداء للدولة الإسلامية العثمانية متأثرين بالدعاية الأوروبية البريطانية والفرنسية وفي هذا الجو ظهرت كوكبة من المفكرين والمصلحين ساهمت في إثراء المشهد الثقافي في سوريا وجعلها منارة ومقصدا لكثير من المهاجرين العرب.

في منتصف العشرينيات من القرن 20 عندما كانت فرنسا تستعد للاحتفال بمرور مئة سنة على احتلالها الجزائر، تقع سوريا في شباك الاستعمار الفرنسي نفسه بعد مؤامرة

محبوكة مع غريمتها بريطانيا.

3- هجرة الجزائريون إلى بلاد الشام:

تعددت مقاصد المهاجرين الجزائريين، منهم من قصد الجارتين تونس والمغرب واتجه البعض الأخر إلى الحجاز كما توجه البعض الآخر نحو بلاد الشام، ويمكن القول أن هجرة الجزائريين نحو المشرق العربي خلال العهد العثماني كانت هجرة اختيارية لأغراض دينية أو علمية أو تجارية أو للأغراض الثلاثة مجتمعة، وبطبيعة الحال لم يكن ذلك التنقل بمقدور كل الجزائريين، أما بعد الاحتلال الفرنسي فتصبح الهجرة اضطرارا حتّم على الجزائريين مغادرة الوطن حفاظا على أرواحهم وأعراضهم ودينهم لذلك تراهم قصدوا ديار الإسلام والعروبة في بلاد الشام وخصوصا سوريا التي استقطبت اكبر عدد من المهاجرين الجزائريين الأوائل خاصة بعد هزيمة الأمير عبد القادر وكان هؤلاء من أتباعه ثم التحق بهم الأمير بعد إطلاق سراحه سنة 1852 ليصل إلى سوريا سنة 1856 وتستمر جسور الاتصال بين هؤلاء المهاجرين الأوائل وأهاليهم في الجزائر. [16]

وحسب الباحث سهيل الخالدي في كتابه "الإشعاع المغربي في المشرق" فانه يمكن تقسيم هجرة الجزائريين إلى أربع موجات تبدأ أولاها سنة 1847 وأخرها سنة 1914 وتمتاز الموجة الأولى بهجرة احمد بن سالم خليفة الأمير وشيخ الطريقة الرحمانية محمد المهدي السكلاوي والمبارك الطيب ومحمد بن عبد الله الخالدي ثم الموجة الثانية التي جاءت بعد هزيمة المقراني والحداد 1871، أما الموجة الثالثة فهي بتشجيع من النظام الاستعماري قصد مصادرة أراضي المهاجرين وتمليكها للمعمرين الاوروبيين خاصة في

عهد الحاكم العام "بوجو" وبعده "جول كامبون" هذا من جهة ولاستغلال المهاجرين (بل المهجّرين) كرعايا فرنسيين في تراب الدولة العثمانية من جهة أخرى. [17]

أما الموجة الرابعة بين 1900-1914 فقد وقعت بسبب الضغط والخناق المفروض على الجزائريين خاصة في عهد الحاكم العام "جونار" ثم ترتفع وتيرة وتواتر الهجرة بعد إصدار قانون التجنيد الإجباري 1911 الذي فرض على الجزائريين الاشتراك مع عدّوهم في حرب لا تعنيهم لا من قريب ولا من بعيد.

وتجدر الملاحظة أن الذين هُجّروا (بطريقة مباشرة أو غير مباشرة) هم أكثر من

الذين هاجروا من تلقاء أنفسهم، كما أن معظم المهجّرين الأوائل في أواخر النصف الأول من القرن 19 كانوا من العلماء والفقهاء والمشايخ والعائلات الثرية أما الموجات اللاحقة فكانت متنوعة فيها الجنود والفلاحون والتجار والعائلات الفقيرة ومن المؤكد أن الأمير وعائلته وأتباعه هم أقطاب هذا الجذب نحو سوريا، كما يلاحظ أن أغلب المهاجرين من الشرق الجزائري وبالأخص من بلاد القبائل، ومن الغرب تلمسان بين 1909−1911 التي أقلقت الفرنسيين كثيرا[18] وقد قدّرت القنصلية الفرنسية عدد الجزائريين في دمشق بـ 4000 جزائري بينما قدّرهم الأمير عمر بـ 17500. [19]

كما أن أغلب الوافدين منهم إلى سوريا استقروا بدمشق وغوطتها وحوران وقد تعددت نشاطات هؤلاء المهاجرين والمهجّرين حيث مارس بعضهم التعليم والإفتاء والقضاء والخدمة في الجيش ومنهم من احترف الزراعة والتجارة.

4- دور الجزائريين في الحياة الثقافية بسوريا

بعد استقرارهم في بلاد الشام واحتكاكهم بسكانها انتشر الجزائريون في ربوع البلاد فلم يساورهم شعور بالغربة فهم كانوا بين أهلهم في بلاد العروبة والإسلام لذا تراهم مارسوا كل الأعمال والحرف وقد برزوا بشكل ملفت للانتباه في المجال الثقافي ولا

غرو في ذلك كما أسلفنا لأن المهاجرين الأوائل كان معظمهم من العلماء والفقهاء والمتصوفين.

كما أن الجو العام السائد في بلاد الشام كان جد مشجّع على البروز في هذا المجال بسبب التفاعلات بين التيارات السياسية والفكرية والدينية التي جاءت كردود أفعال على السياسة العثمانية من جهة وكذلك بحكم طبيعة تركيبة المجتمع الشامي المتنوعة أصلا، لذا نجد المهاجرين الجزائريين تموقعوا في مختلف الحقول الثقافية.

أ- حقل التعليم:

برز الكثير من الجزائريين وخاصة من عائلة الأمير وأتباعه في هذا المجال درسوا ودرّسوا وساهموا في إنشاء المدارس وتخرج منها وعلى أيديهم العديد من العلماء وكبار المفكّرين الشاميّين ومن الشخصيات الهامة في هذا الحقل نذكر الأمير أحمد بن محي

الدين والأمير محمد بن عبد القادر واحمد بن محمد التلمساني واحمد الغريسي

الجزائري ومحمد بن عبدالله الخالدي ومحمد المبارك وأبو يعلى الزواوي وأحمد جودت الهاشمي وأحمد

زروق وصالح السمعوني ولعل أشهرهم وأكثرهم تأثيرا الشيخ طاهر الجزائري الذي أسّس وساهم في الكثيرمن المدارس ودور الثقافة والمكتبات في بلاد الشام. [20]

ومن أهم المدارس التي ساهم الجزائريون في تأسيسها أو تأطيرها:

– مدرسة "عنبر"

– مدرسة الإرشاد والتعليم

– المدرسة الريحانية

– مدرسة ابن خلدون

– مدرسة النهضة العلمية

– مدرسة دوحة الأدب [21]

ب- حقل الصحافة:

عملت الدولة العثمانية على عزل بلاد الشام وحاولت سد قنوات الاتصال بين الشاميين وباقي المشرق وخاصة مصر التي كانت تشهد زخما إعلاميا كبيرا وكذلك مع أوروبا النهضة والثورة والصناعة إلا أن هذه السياسة في حد ذاتها كانت عاملا مشجعا على كسر جدار العزلة وقد ساهم الجزائريون في ذلك من خلال إنشاء الصحف مثل "المهاجر"على يد الأمير سعيد الجزائري وصحيفة "الوحدة الإسلامية" بفضل سليم الجزائري وصحيفة "المفيد" التي يديرها عبد الغني الغريسي...، هذا بالإضافة إلى إسهامات الجزائريين بكتاباتهم في الصحف السورية حول المواضيع السياسية والفكرية والدينية والتربوية المطروحة آنذاك.

ومن الأقلام الصحفية البارزة التي تتلمذ أصحابها على أيدي علماء جزائريين في أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 : محمد بن التهامي، سعيد بن قاسم الجزائري، سهيل الخالدي، يحيى يخلف، التهامي شطّة،محمد مرتضى الحسني الجزائري، محمد بوعزة ، عدنان الراشدي، عبد الهادي لمبارك[22].

ج- حقل الجمعيات:

عرفت بلاد الشام الكثير من الجمعيات السرية منها والعلنية والتي ساهمت بشكل كبير في التوعية والتثقيف وجمع ما شتّته السياسة العثمانية ومن الجمعيات الهامّة التي ظهرت في القرن 19 والتي ساهم في تنشيطها وتمويلها آل السمعوني الجزائريّن وعائلة الأمير عبد القادر جمعية " المقاصد الخيرية المغربية الإسلامية" والتي مازال نشاطها مستمر إلى اليوم، ومع بداية القرن 20 تتكاثر هذه الجمعيات ويزداد نشاطها سرا وعلانية وقد شارك في نشاطها الكثير من الجزائريين وقد كان نشاطهم يجمع بين الأدوار السياسية والثقافية والدينية، ومن هذه الجمعيات:

- **جمعية النهضة العربية (1906) ظهرت كتتويج لحلقات الشيخ طاهر الجزائري**
- **جمعية الإخاء العربي–العثماني (1908) برز فيها الأمير محي الدين الجزائري**
- **المنتدى الأدبي (1908) وقد برز فيها سليم الجزائري**
- **الجمعية القحطانية (1909) وقد برز فيها كذلك سليم الجزائري**
- **جمعية العهد (1913) وقد برز فيها أيضا سليم الجزائري[23]**

د- حقل الآداب و الفنون:

ظهرت العديد من الشخصيات ذات الأصول الجزائرية في هذا الحقل مثل يحيى يخلف الذي تألق في مجال القصة القصيرة والرواية وله العديد من المؤلفات... وكذلك أستاذ الموسيقى والمنشد أحمد زروق الذي درّس الموسيقى في مدرسة "عنبر" لمدة زادت عن 20 سنة مما أكسبه شهرة واسعة في المشرق العربي وحتى في تركيا حيث استدعاه السلطان العثماني وأقام عنده لأكثر من شهرين. [24]

الخاتمة:

استعرضت في ثنايا المقال جذور العلاقة بين الجزائر وسوريا ورأيت أنها موغلة في القدم حيث تعود إلى أواخر القرن العاشر الميلادي حيث أين لعب الجزائريون دورا بارزا في تمكين الدولة الفاطمية في بلاد الشام ثم عرّجت على الظروف السياسية في كل من الجزائر وسوريا خلا القرن 19 وبداية القرن 20 الميلاديين وهي ظروف لم تكن مواتية للفعل الثقافي بسبب السياسة العثمانية وبعدها السياسة الاستعمارية الفرنسية إلا أن ذلك لم يمنع

الجزائريين في الجزائر أو في سوريا من الحركة والعمل الثقافي بكل أشكالهما بل أن تلك الظروف الصعبة كانت حافزا للتحدي والمواجهة، أعود بعد ذلك إلى هجرة الجزائريين إلى بلاد الشام وتركيبة المهاجرين ومواقع انطلاقهم من الجزائر ومقاصدهم في بلاد الشام، ووقفت على أهمية الموجة الأولى في نهاية النصف الأول من القرن 19 والتي كان قوامها العلماء والفقهاء وعلاقتها بالأمير عبد القادر وعائلته وهي المجموعة النواة أو المركز الذي سيكون المرجع ونقطة الانطلاق للعمل الثقافي في بلاد الشام، ووصلت في نهاية البحث إلى أهم المجالات الثقافية التي ساهم المهاجرين الجزائريين في تنشيطها وقد كانت متنوعة إلا أن الجزائريين كانوا أكثر حضورا في المجال التعليمي بمفهومه الواسع أي التعليم الديني والدنيوي ومع ذلك يبقى هذا الموضوع بحاجة إلى معالجات أعمق وأوسع لما له من أهمية في تاريخ البلدين وتبقى الكثير من التساؤلات مطروحة لاسيما دواعي اختيار سوريا كمقصد للمهاجرين وعلاقة هؤلاء بالوطن الأم وكذلك البحث في الاتجاه الآخر أي دور السوريّن في الحياة الثقافية بالجزائر.

ملحق (1): قائمة لبعض أعيان الشام ذوي الأصول الجزائرية:

- محمد المهدي السكلاوي

- محمد الطيب المبارك

- محمد المبارك بن محمد المبارك

- صالح السمعوني

- طاهرالسمعوني (طاهر الجزائري)

- سليم السمعوني (ابن أخ طاهر)

- أحمد الطيب بن سالم

- الحاج علي بوطالب

- محمد المصطفى بن التهامي

- محمد الخروبي القلعي

- محمد بن يلّس بن شاويش

- محمد بن عبد الرحمان الهاشمي

ومن عائلة الأمير عبد القادر الجزائري:

أبنائه وعددهم 10 لكن أكثرهم شهرة :

الأمير محمد بن عبد القادر

الأمير عبد الملك بن عبد القادر (عاش وكافح وتوفي في المغرب الأقصى)

الأمير علي بن عبد القادر

الأمير عمر بن عبد القادر

الأمير الهاشمي بن عبد القادر

الأمير محي الدين بن عبد القادر

أما إخوة الأمير عبد القادر الجزائري فهم: محمّد السعيد/مصطفى/ احمد / الحسين [25]

الهوامش:

[1] الصباغ، ليلى، الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7و8 –1977.

[2] صلاح الدين المنجّد، المشرق في نظر المغاربة، بيروت 1963، ص 20.

[3]F.Braudel.La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de PhillipeII ,Paris, 1949, p 201.

[4] احمد شهاب الدين المقرّي، نفح الطيب ،م 1، ص 65 – 66

[5] مقال للدكتور عبد السلام تدمري، المغاربة في ساحل الشام، من الموقع التالي:

http://www.attajdid.ma/def.asp?codelangue=6&infoun=34467

[6] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط 2، 1980 و"معجم مشاهير المغاربة "، فرقة بحث علمي تحت إشراف د/بوعمران الشيخ ود/ ناصر سعيدوني ، جامعة الجزائر 1995.

[7] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط 2، 1980 و"معجم مشاهير المغاربة " ، فرقة بحث علمي تحت إشراف د/بوعمران الشيخ ود/ ناصر سعيدوني ، جامعة الجزائر 1995.

[8] د/ ليلى الصبّاغ، المرجع السابق.

[9] المحبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، ص 305.

[10] فرقة بحث علمي تحت إشراف د/بوعمران الشيخ ود/ ناصر سعيدوني، "معجم مشاهير المغاربة"، جامعة الجزائر 1995. ص507 –512.

[11] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،دار الثقافة، بيروت 1980، ص566

[12] محمدكرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج 2، دار الفكر، دمشق، 2003، ص 326.

[13] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص331.

[14] وقعت معركة مرج دابق في 24 أغسطس 1516 بين العثمانيين والمماليك قرب حلب في سوريا، قاد العثمانيين سليم الأول وقاد المماليك قانصوه الغوري. انتصر فيها العثمانيون ليبدأ بعدها الحكم العثماني لسوريا.

[15] وقعت معركة الريدانية بتاريخ 29 ذي الحجة سنة 922 الموافق 22 كانون الثاني1517 م، بين طومان باى والسلطان سليم الأول العثمانى وانتهت بهزيمة طومان باى وإعدامه وإنهاء حكم المماليك وبداية الحكم العثماني لمصر

[16] سهيل الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق، دار الأمة، الجزائر 1997، ط1، ص ص34،33،32،31.

[17] نفس المرجع، ص36.

[18] أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983، ط3، ص 129.

[19] أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1 1998، ص481.

[20] نادية طرشون، (أطروحة ماجستير)، الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي، 1847– 1911، مكتبة الأسد، دمشق، ط 8، ص 177 وعادل نويهض، أعلام الجزائر،مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط 2، 1980، ص67 – 283.

[21] سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص 221 –227.

[22] سهيل الخالدي، نفس المرجع، ص227 –229.

[23] على المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1978، ط2 ص 132 – 144، وسهيل الخالدي، المرجع السابق، ص 116 – 123.

[24] سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص 229.

[25] أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1 1998، ص521–569.